



سلسلة انتقاءات الكناص

(١)

٢٧ فائدة
من كتاب رسالة ابن القيم
إلى أحد إخوانه

انتقاء:
عبد الله بن محمود الكناص
المشرف العام على هيئة تعلم
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

سلسلة انتقاءات الكنّاص (١)

٢٧ فائدة

من كتاب

رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه

انتقاء:

عبد الله بن محمود الكناص

المشرف العام على هيئة تعلّم

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

بسم الله، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فهذه ٢٧ فائدة من كتاب الإمام العلامة الربانيّ ابن القيم رحمه الله ((رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه)).

نقدمها لمن يريد أن يزكي نفسه، ويطهّر قلبه.

وسيكون لنا في ذلك سلسلة من الفوائد القيمة من كتب أهل العلم.

واعتمدنا في هذا الكتاب طبعة دار عالم الفوائد.

ولربما أضفنا بعض الحروف أو أبدلنا بعض الكلمات ليناسب المعنى المراد.

والله نسأل أن يعم النفع، ويغفر الزلل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.



نبذة عن الكتاب:

هو رسالة كتبها الإمام بن القيم لأحد إخوانه يحثه فيها على تعليم الخير وبذل النصيحة، ويحذر من الغفلة، ويتحدث عن الهداية، ويشرح السبل التي تنال بها الإمامة في الدين، ويذكر بعض معاني البصيرة التي ينبغي أن يكون عليها الداعي إلى الله، ويؤكد أن اللذة لا تتم إلا بأمور، وهي معرفة الله وتوحيده والأنس به والشوق إلى لقائه واجتماع القلب والهم عليه، ويدلل على ذلك بكون الصلاة جعلت قرة عين النبي صلى الله عليه وسلم فيها. ويختم رسالته بأن ملاك هذا الشأن أربعة أمور: نية صحيحة وقوة عالية، ورغبة، ورهبة.

(مقتبسة من موقع الطريق إلى الله)



(١)

إن بركة الرجل تعليمُه للخير حيث حلَّ، ونُصحُهُ لكلِّ من اجتمع به، قال الله تعالى إخباراً عن المسيح عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ (مريم:٣١)،أي معلماً للخير، داعياً إلى الله، مذكراً به، مرغِّبًا في طاعته، فهذا من بركة الرجل، ومن خلا من هذا فقد خلا من البركة، ومُحِقت بركة لقائه والاجتماع به، بل تُمْحق بركة من لقيه واجتمع به، فإنه يضيُّع الوقت في المَاجَرَيَاتِ، ويفسد القلب.

(ص٣)



(٢)

ومتى ضاع الوقت وفسد القلب انفرطت على العبد أموره كلها وكان ممن قال الله فيه: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف: ٢٨).

(ص ٤)



(٣)

والغفلة عن الله والدَّار الآخرة متى تزوجت بإتباع الهوى، تولد ما بينهما كل شر. وكثيراً ما يقترن أحدهما بالآخر ولا يفارقه.

(ص ٤-٥)



(٤)

والمُنْعَم عليهم هم الذين مَنَّ الله عليهم بمعرفة الحق علماً وبالانقياد إليه وإيثاره على ما سواه عملاً، وهؤلاء هم الذين على سبيل النجاة، ومن سواهم على سبيل الهلاك، ولهذا أمرنا الله سبحانه أن نقول كل يوم وليلة عدة مرات: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ (الفاتحة: ٦-٧).

(ص ٥)



(٥)

وأمور قد يفعلها على وجه الهداية، وهو محتاج إلى أن يَهدِيَ غيره إليها ويرشده وينصحه، فإهماله ذلك يُفوِّت عليه من الهداية بحسبه كما أن هدايته للغير وتعليمه ونصحه يفتح له باب الهداية، فإن الجزاء من جنس العمل.

(ص ٨-٩)



(٦)

وقد أثنى الله سبحانه على عباده المؤمنين الذين يسألونه أن يجعلهم أئمة يُهتَدَى بهم، فقال تعالى في صفات عباده: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾. (الفرقان: ٧٤)

(ص١٠)



(٧)

وقد أخبر سبحانه أن هذه الإمامة إنما تُنالُ بالصبر واليقين فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤)

(ص ١٦-١٧)



(٨)

إن القلب تطرقه طوارق الشهوات المخالفة لأمر الله، وطوارق الشبهات المخالفة لخبره، فالصبر يَدفع الشهوات، وباليقين يَدفع الشبهات، فإن الشهوة والشبهة مضادتان للدين من كل وجهٍ، فلا ينجو من عذاب الله إلا من دفع شهواته بالصبر، وشبهاته باليقين، ولهذا أخبر سبحانه عن حبوط أعمال أهل الشهوات والشبهات فقال تعالى:

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

(التوبة: ٦٩)

(ص ١٨)



(٩)

وكما أنه سبحانه علَّق الإمامة في الدين بالصبر واليقين فالآية: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤)، متضمنة لأصلين آخرين:

أحدهما: الدعوة إلى الله وهداية خلقه.

الثاني: هدايتهم بما أمر به -سبحانه- على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، لا بمقتضى عقولهم، وآرائهم، وسياساتهم، وأذواقهم، وتقليد أسلافهم بغير برهان من الله؛ لأنه قال: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (السجدة: ٢٤)

(ص ١٩)



(١٠)

ولا يكون من أتباع الرسول على الحقيقة إلا من دعا إلى الله على بصيرة؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨) فقوله: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ تفسيرٌ لسبيله التي هو عليها، فسبيله وسبيل أتباعه: الدعوة إلى الله، فمن لم يدع إلى فليس على سبيله.

(ص ٢٣)



(١١)

ومما ينبغي الاعتناء به علماً ومعرفة وقصداً وإرادةً: العلم بأن كل إنسان ، بل كل حيوان ، إنما يسعى فيما يُحَصِّلُ له اللذة والنعيم وطيب العيش ، ويندفع به عنه أضداد ذلك ، وهذا مطلوب صحيح يتضمن ستة أمورٍ:

أحدهما: معرفة الشيء النافع للعبد، الملائم له، الذي بحصوله لذته وفرحه وسروره وطيب عيشه.

الثاني: معرفة الطريق الموصلة إلى ذلك.

الثالث: سلوك تلك الطريق.

الرابع: معرفة الضار المؤذي المنافر الذي ينكد عليه حياته.

الخامس: معرفة الطريق التي إذا سلكها أفضت به إلى ذلك.

السادس: تجنب سلوكها.

فهذه ستة أمور لا تتم لذة العبد وسروره وفرحه وصلاح حاله إلا باستكمالها، وما نقص منها عاد بسوء حاله، وتنكيد حياته.

(ص ٢٨)



(١٢)

وقد اشترى سبحانه من المؤمنين أنفسهم، وجعل ثمنها جنته، وأجرى هذا العقد على يد رسوله وخليله وخيرته من خلقه. فسلعَةٌ ربٌّ السموات والأرض مشتريها، والتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم وسماع كلامِه منه في داره ثمنُها، وَمَنْ جرى على يده العقد رسُولُه، كيف يليق بالعاقل أن يُضيعها ويهملها ويبيعها بثمن بخس، في دار زائلة مضمحلة فانية وهل هذا إلا من أعظم الغبن؟ وإنما يظهر له هذا الغبن الفاحش يوم التغابن، إذا ثقلت موازين المتقين وخفَّت موازين المبطلين.

(ص ٣١- ٣٢)



(١٣)

والفرح والسرور، وطيب العيش، والنعيم، إنما هو في معرفة الله، وتوحيده والأُنْس به، والشوق إلى لقائه، واجتماع القلب والهمِّ عليه. فإنَّ أنكد العيش عيش مَنْ قَلْبُهُ مُشَتَّتٌ، وهَمُّهُ مُفَرَّقٌ، فليس لقلبه مستقر يستقر عنده ولا حبيب يأوي إليه ويسكن إليه.

(ص ٣٢-٣٣)



(١٤)

فالعيش الطيب، والحياة النافعة، وَقُرَّةُ العين في السكون والطمأنينة إلى الحبيب الأول، ولو تَنَقَّل القلب في المحبوبات كُلها لم يسكن ولم يطمئن إلى شيء منها ولم تَقرَّ به عينه حتى يطمئن إلى إلهه ورَبِّهِ ووَليّه، الذي ليس من دونه ولي ولا شفيع، ولا غِنى له عنه طرفة عين.

(ص ٣٣)



(١٥)

فاحرص أن يكون همُّك واحداً، وأن يكون هو الله وحده، فهذا غاية سعادة العبد، وصاحب هذه الحال في جنةٍ مُعجَّلَةٍ قبل جنة الآخرة، وفي نعيم عاجل.

(ص ٣٤)



(١٦)

وإنما تَقَرُّ العينُ بأعلى المحبوبات، الذي يُحَبُّ لِذَاته، وليس ذلك إلا الله الذي لا إله إلا هو، وكل ما سواه فإنما يُحَبُّ تبعاً لمحبته فَيُحَبُّ لأجله ولا يُحَبُّ معه، فإن الحب معه شرك، والحب لأجله توحيد.

(ص ٣٦)



(١٧)

فالصلاة قُرَّةُ عيون المحبين في هذه الدنيا؛ لما فيها من مناجاة من لا تقرُّالعيون ولا تطمئن القلوب، ولا تسكن النفوس إلا إليه، والتنعم بذكره، والتذلل والخضوع له، والقرب منه، ولا سيما في حال السجود، وتلك الحال أقرب ما يكون العبد من ربه فيها، ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((يا بلال أرحنا بالصلاة)).

(ص ٣٧)



(١٨)

فالمحب راحته وقرة عينة في الصلاة، والغافل المعرض، ليس له نصب من ذلك، بل الصلاة كبيرة شاقة عليه، إذا قام فيها كأنه على الجمر حتى يتخلص منها، وأحبُّ الصلاةِ إليه أعجلها وأسرعها، فإنه ليس له قرة عين فيها، ولا لقلبه راحة فيها، والعبد إذا قرَّت عينه بشيء واستراح قلبه به فأشق ما عليه مفارقته، والمتكلِّف الفارغ القلب من الله والدار الآخرة المبتلى بمحبة الدنيا أشق ما عليه الصلاة، وأكره ما إليه طولها، مع تفرغه وصحته وعدم اشتغاله!

(ص ٣٨-٣٩)



(١٩)

ومما ينبغي أن يُعلَم: أن الصلاة التي تَقرُّ بها العين ويستريح بها القلب هي التي تجمع *ستة* مشاهد:

المشهد الأول: الإخلاص.

وهو أن يكون الحامل عليها والداعي إليها رغبة العبد في الله، ومحبته له، وطلب مرضاته، والقرب منه، والتودد إليه، وامتثال أمره، بحيث لا يكون الباعث له ليها حظًّا من حظوظ الدنيا ألبَتَّهَ، بل يأتي بها ابتغاء وجه ربه الأعلى، محبةً له وخوفاً من عذابه، ورجاء لمغفرته وثوابه.

(ص ٣٩)



(٢٠)

المشهد الثاني: مشهد الصِّدقِ والنصح.

وهو أن يفرِّغ قلبه لله فيها، ويستفرغَ جهده في إقباله فيها على الله، وجمع قلبه عليها وإيقاعها على أحسن الوجوه وأكملها ظاهراً وباطناً، فإن الصلاة لها ظاهر وباطن، فظاهرها الأفعال المشاهدة والأقول المسموعة، وباطنها الخشوع والمراقبة وتفريغ القلب لله، والإقبال على الله فيها، بحيث لا يلتفت فيها قلبه عنه إلى غيره، فهذا بمنزلة الروح لها، والأفعال بمنزلة البدن، فإذا خلت من الروح كانت كبدن لا روح فيه، أفلا يستحي العبد أن يُواجِه سيدَه بمثل ذلك!

(ص ٤٠)



(٢١)

<u>المشهد الثالث</u>: مشهد المتابعة والاقتداء.

وهو أن يحرص كل الحرص على الاقتداء في صلاته بالنبي صلى الله عليه وسلم ويصلي كما كان يصلي؛ وَيُعرِض عما أحدث الناس في الصلاة، من الزيادة والنقصان، والأوضاع التي لم يُنقَل عن رسول الله شيء منها ولا عن أحد من أصحابه؛ ولا يقف عند أقوال المرخِّصين الذين يقفون مع أقل ما يعتقدون وجوبه.

(ص ٤١-٤٢)



(٢٢)

<u>المشهد الرابع</u>: مشهد الإحسان.

وهو مشهد المراقبة، وهو أن يعبد الله كأنه يراه. وهذا المشهد إنما ينشأ من كمال الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، حتى كأنه يرى الله سبحانه فوق سماواته، مستوياً على عرشه يتكلم بأمره ونهيه، وَيُدَبِّرُ أمر الخليقة، فينزل الأمر من عنده ويصعد إليه، وَتُعرَضُ أعمل العباد وأرواحهم عند الموافاة عليه. فَيَشهَدُ ذلك كله بقلبه، وَيَشهَدُ أسماءه وصفاته، وَيَشهَدُ قيوماً، حيّاً، سميعاً، بصيراً، عزيزاً، حكيماً، آمراً، ناهياً، يحب، ويبغض، ويرضى، ويغضب،

ويفعل ما يشاء، ما يريد فوق عرشه، لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد ولا أقوالهم ولا بواطنهم، بل يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

(ص ٤٤-٤٥)



(٢٣)

ومشهد الإحسان أصل أعمال القلوب كلها، فإنه يوجب الحياء، والإجلال، والتعظيم، والخشية، والمحبة، والإنابة، والتوكل، والخضوع لله سبحانه، والذل له؛ وَيَقطع الوساوس وحديث النفس، وَيَجمع القلب والهم على الله.

(ص ٤٥)

(٢٤)

فحظ العبد من القرب من الله قدر حظِّه من مقام الإحسان، وبحسبه تتفاوت الصلاة، حتى يكون بين صلاة الرجلين من الفضل كما بين السماء والأرض، وقيامهما وركوعهما وسجودهما واحد.

(ص ٤٥)



(٢٥)

<u>المشهد الخامس</u>: مشهد المِنَّة.

وهو أن يشهد أن المِنَّة لله، كونه أقامه في هذا المقام وأهلّه له ووفقه لقيام قلبه وبدنه في خدمته. فلولا الله سبحانه لم يكن شيء من ذلك.

(ص ٤٦)



(٢٦)

وهذا المشهد –مشهد المنة- من أعظم المشاهد وأنفعها للعبد وكلما كان العبد أعظم توحيداً كان حظه من هذا المشهد أتم.

(ص ٤٧)



(٢٧)

المشهد السادس: مشهد التقصير.

وأنَّ العبد لو اجتهد في القيام بالأمر غايةَ غايةِ الاجتهاد وبذل وسعه فهو مُقصِّر، وحَق الله سبحانه عليه أعظم، والذي ينبغي له أن يُقابَل به من الطاعة والعبودية والخدمة فوق ذلك بكثير، وأنَّ عظمته وجلاله يقتضي من العبودية ما يليق بها.

(ص ٤٩)



والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات..

نسأل الله سبحانه القَبول والإخلاص والنفع

لنا وللمسلمين وللقارئين طلاب العلم..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

والحمد لله ربّ العالمين.

الفهرس



سلسلة انتقاءات الكناص (١)

27 فائدة من رسالة ابن القيم لأحد إخوانه

27 فائدة من كتاب الإمام العلامة الربانيّ ابن القيم رحمه اللّه. نقدمها لمن يريد أن يزكي نفسه، ويطهّر قلبه.



OMB

